وعلى الله فتوكلوا
إن كنتم مؤمنين

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العـــــالمين، والصـــــلاة والســـلام على إمـــام المرســـلين وخـــاتم النبـــيين، وأعظم المتــــوكلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد...

فلا يخفى على أحد أننا نعيش في عصر طغت فيه الماديات، وقلت فيه الروحانيات، وكــثرت فيه الملهيــات، ووثق فيه النــاس بالـدرهم والـدينار، فتعلقت أنفسـهم بالـدنيا تعلقًا شــديدًا، وتكــالبوا على طلبها من كل وجـــه، واعتمـــدوا في ذلك على الأســـباب اعتمادًا كليًا، وغفلوا عن اللجوء إلى مسبب الأسـباب سـبحانه، فضـعف عنـدهم جـانب التوكل على اللـــه، فـــازدادوا ضـــعفًا على ضـــعفهم، وهوانًا على هـــوانهم، فمنهم من اطمأن إلى ما عنده من الأمـوال والضـياع، ونسي حق الله فيما عنده من متاع، ولسان حاله يقـــول: ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُـــهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾ [القصص: 78] فلمـاذا أبـدد مـالي على حثالة الناس وفقرائهم ودهمائهم؟

ومنهم من آثر الراحة والبطالـــــــــــة، والكسل والخمـــول، اعتمـــادًا على ما يأتيه من صـــدقات وزكـــوات، فقعد عن العمـــل، وتـــرك السـعي والتكسب وقـــال: إنـــني من المتوكلين!!

ومنهم من قصر في جـــــانب النصــــح، ونكص عن القيام بواجب الإصلاح؛ خوفًا من الإيـــــــذاء وحفاظًا على المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها.

ومنهم من جبن عن ملاقاة الأعداء، وفر من بريق السيوف قبل اللقاء، وآثر التنـــازل عن المبــــادئ والتســــليم للباطــــل؛ طلبًا للســـلامة، وحرصًـــا على الحيـــاة.. ولا يعلم هؤلاء جميعا أنهم على خطر عظيم، وأن ما يفعلونه هو الهلاك المحتم والضياع المبين.

إن التوكل على الله من أعظم العبادات القلبية التي تضمن للفرد اسـتقرارًا نفسـيًا، ورقيًا ماديًا، وفوزًا أخرويًا.

إن التوكل على الله من أعظم أســـباب قوة الأمة وثباتها وبقائهـا، ونهضـتها وتفوقها

على أعدائها.

إن التوكل على الله يقـــوي العـــزائم، ويطرد المخاوف، ويورث القلب قوة وثباتًـا، وقدرة على مواجهة الشدائد.

التوكل في الكتاب والسنة

أمر الله تعــالى بالتوكل عليــه، وبين أن التوكل عليه من أخص صـــــفات عبـــــاده المؤمنين، وبين أنه يحب المتوكلين، وأشــار إلى عظيم ثوابهم وأجـرهم فقـال: **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُـــــوا إِنْ كُنْتُمْ مُـــــؤْمِنِينَ** [المائـــــدة: 23]. وقـــــال: **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُـــــونَ** [آل عمـــــران: 122]، وقــال: **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْـبُهُ** [الطلاق: 3] وقــال تعــالى: **فَـــإِذَا عَـــزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَـــوَكِّلِينَ** [آل عمـــران: 159] وقــال عن أنبيائه ورســله: **وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا** [إبــراهيم: 12] وقــال: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُـونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِـــرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُـــوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُـــهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** [الأنفال: 2].

وأما الأحــاديث في فضل التوكـل، فمنها حــديث الســبعين ألفًا الــذين يــدخلون الجنة بغير حساب ولا عـذاب، وفيه قـال النـبي ﷺ:

«هم الذين لا يرقـون ولا يسـترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» [متفق عليه].

وعن عمر قال: سـمعت رسـول الله يقـــول: «**لو أنكم تتوكلـــون على الله حق توكله لرزقكم كما يــرزق الطــير تغـــدو خماصـــًا وتـــروح بطانًا**» [رواه الترمذي وحسنه].

معنــاه: تــذهب أول النهــار خماصًــا أي ضـــامرة البطـــون من الجـــوع، وترجع آخر النهار ممتلئة البطون.

والتوكل على الله يثبت القلوب والأقدام على طاعة اللـــه، ويـــؤمن النفـــوس من المخـاوف وقت المحن والشـدائد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قـال: «حسـبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قـالوا: إن النـاس قد جمعـوا لكم فاخشـوهم، فـزادهم إيمانًا وقـــالوا: حســـبنا الله ونعم الوكيل» [رواه البخاري].

ومن ذلك أيضًـا ما رواه جـابر أنه غـزا مع النبي قبل نجد، فلما قفل رســول الله قفل معهم، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضـــاه [1]، فــنزل رســول الله وتفــرق الناس يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله تحت ســـمرة [2]، فعلق بها ســـيفه، ونمنا نومة فإذا رسـول الله يـدعونا، وإذا عنـده أعرابي، فقال: «**إن هذا اخترط [3] علي سـيفي وأنا نـائم، فاسـتيقظت وهو في يــده صــلتًا [4]. قــال: من يمنعك مـــــني؟ قلت: الله – ثلاثًا** «ولم يعاقبه وجلس» [متفق عليه].

وفي رواية أبي بكر الإســــــماعيلي في صحيحه: قال: من يمنعك مني؟ قـال: **الله**، قال: فسقط السيف من يده، فأخذ رســول الله السيف فقال: «**من يمنعك مني؟**» فقال: كن خـير آخـذ، فقـال: **تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**؟ قـال: لا،

---

1 (?) العضاه: شجر له شوك.

2 (?) السمرة: الشجرة من الطلح.

3 (?) اخترط: أي سله وهو في يده.

4 (?) صلتا: أي مسلولاً.

ولكني أعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونـك، فخلى سـبيله، فقـال: جئتكم من عند خير الناس.

عظم منزلة التوكل

قــال ابن القيم رحمه اللــه: التوكل نصف الــدين، والنصف الثــاني الإنابــة، فــإن الــدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة.

ومنزلته أوسع المنازل وأجمعهـا، ولا تـزال معمــورة بالنــازلين، لســعة متعلق التوكــل، وكـثرة حـوائج العـالمين،... فأوليـاؤه وخاصـته يتوكلون عليه في الإيمان، ونصرة دينه، وإعلاء كلمتـــه، وجهـــاد أعدائـــه، وفي محابه وتنفيذ أوامره.

ودون هــؤلاء من يتوكل عليه في معلــوم يناله منـــه، من رزق أو عافيـــة، أو نصر على عدو أو زوجة أو ولد ونحو ذلك.

فأفضل التوكل: التوكل في الواجب، أعني واجب الحق، وواجب الخلق، وواجب النفس.

وأوســعه وأنفعــه: التوكل في التــأثير في الخــارج في جلب مصــلحة دينيــة، أو في دفع مفســدة دينيــة، وهو توكل الأنبيــاء في إقامة دين الله، ودفع فسـاد المفسـدين في الأرض،

وهذا توكل ورثتهم، ثم النــاس بعد في التوكل على حسب هممهم ومقاصـــــــــدهم، فمنهم متوكل على الله في حصــول الملــك، ومنهم متوكل في حصول رغيف!!

ومن صــدق توكله على الله في حصــول شيء ناله، فإن كـان محبوبًا له مرضـيًا كـانت له فيه العاقبة المحمودة، وإن كان مســخوطًا مبغوضًا كان ما حصل له بتوكله مضرة عليــه، وإن كــان مباحًا حصــلت له مصــلحة التوكل دون مصــلحة ما توكل فيه إن لم يســتعن به على طاعاته، والله أعلم»[1].

---

1 (?) مدارج السالكين: (2/114).

أقوال الأئمة في التوكل

1- قـال ابن عبـاس رضي الله عنهمـا: التوكل هو الثقة بالله.

2- وقـــال الإمـــام أحمـــد: هو قطع الاستشراف بالإياس من الخلق.

3- وقــال الحســن: هو الرضا عن الله تعالى.

4- وقال حمدون القصـار: هو الاعتصـام بالله تعالى.

5- وقـــال شـــقيق البلخي: التوكل هو طمأنينة القلب بموعود الله عز وجل.

6- وقـال بعضـهم: التوكـل: التعلق بالله في كل حال.

7- وقيل: التوكل هو التسليم لأمر الرب وقضائه.

8- وقال ابن رجب الحنبلي: «هو صـدق اعتمـــــــاد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضـار من أمـور

الدنيا والآخرة كلها [1].

[1] (?) انظر: التوكل على الله وعلاقته بالأسباب ص(18-20).

درجات التوكل

قال ابن القيم رحمه الله: وحقيقة الأمر أن التوكل حال مركبة من مجموع أمــور، لا تتم حقيقة التوكل إلا بهــا، وكل أشـــار إلى واحد من هـذه الأمـور أو اثـنين أو أكـثر، ثم ذكر رحمه الله درجات التوكل وهي:

الدرجة الأولى: معرفة الـــــــــرب وصفاته:

من قدرته وكفايته وقيوميتـــه، وانتهـــاء الأمــور إلى علمــه، وصــدورها عن مشــيئته وقدرتـه، وهـذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل.

الدرجة الثانية: إثبات الأسباب:

فــــإن من نفاها فتوكله مـــــدخول. فلا يستقيم توكل العبد إلا بإثبات الأسـباب؛ لأن التوكل ذاته من أقوى الأسـباب في حصـول المطلوب واندفاع المكروه، ولكن من تمام التوكل عـدم الركـون إلى الأسـباب، وقطع علاقة القلب بهــا، فيكــون حــال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها.

الدرجة الثالثـــة: رســـوخ القلب في مقام التوحيد:

فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيــده، بل حقيقة التوكــل: توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشـــــــرك، فتوكله معلول مدخول.

الدرجة الرابعــة: اعتمــاد القلب على الله، واستناده وسكونه إليه، والثقة بتدبيره، بحيث لا يبقى فيه اضــطراب من تشــويش الأسباب ولا سكون إليها، كما قال بعضــهم: المتوكل كالطفل لا يعـرف شـيئًا يـأوي إليه إلا ثدي أمه. كـذلك المتوكل لا يـأوي إلا إلى ربه سبحانه.

الدرجة الخامســة: حسن الظن بالله عز وجل:

فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له، يكــون توكلك عليــه، ولــذلك فسر بعضــهم التوكل بحسن الظن باللـــــه. والتحقيق أن حسن الظن به يدعو إلى التوكل عليه، إذ لا يتصــور التوكل على من ســاء ظنك بــه، ولا

التوكل على من لا ترجوه.

الدرجة السادسـة: استسـلام القلب له:

وبهذا فسره من قال أن يكون العبد بين يـدي الله كـالميت بين يـدي الغاسل يقلبه كيف أراد، فالاستسلام: تسليم العبد الـذليل لسيده، وانقياده له، وتـرك منازعـات نفسه وإرادتها مع سيده.

الدرجة السابعة: التفويض:

وهو روح التوكل ولبه وحقيقتـه، وهو إلقاء أمـوره كلها إلى اللـه، وإنزالها به طلبًا واختيارًا لا كرهًا واضطرارًا [1].

وقال الـبيهقي: وحين أمر بالإجمـال في الطلب علمنا أنه لم يمنع من الكسب أصلاً، ولكن كـره له شـدة الحـرص، وكـثرة الهم، فِعْـلَ من يـرى أن رزق الله إنما يحصل بجده وجهده، دون تقدير خالقه ورازقه.

وعن ابن عبـاس قـال: كـان أهل اليمن

---

[1] (?) انظر: مـدارج السـالكين (2/118-122) بتصـرف واختصار.

يحجـــون ولا يـــتزودون، ويقولـــون: نحن متوكلــون، فيحجــون إلى مكــة، فيســألون النـاس، فـأنزل الله عز وجـل: ﴿**وَتَـزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾ [البقرة: 197].

قــال الحليمي: وهو ألا يتوكل على أزواد الناس، فيـؤذيهم، ويضـيق عليهم، ومن دخل البادية بلا زاد متـــوكلاً، فإنما يرجو أن يقيض الله تعالى من يواسـيه من زاده، وهـذا عين ما أشـارت الآية إلى المنع منـه، فبـان أنه لا معنى لاستحبابه، وإنما المستحب هو الـتزود أو الجلوس إذا لم يكن زاد حتى يكون [1].

[1] (?) شعب الإيمان للبيهقي: (2/81) وما قبلها.

ثمرات التوكل

للتوكل ثمـــرات جليلة وفوائد كثـــيرة نطقت بها الآيـات البينـات، وأفصـحت عنها الأحاديث النبويـات، وتضـمنتها أقـوال أئمتنا الثقات، ومن ذلك:

1- حصـول الإيمـان؛ لقوله تعـالى: **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُـــــــوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [المائدة: 23].

2- حصـول التوفيـق؛ لقوله تعـالى: **﴿وَمَا تَـوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْـهِ تَـوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾** [هود: 88].

3- النجـــاة من فتنة الشـــيطان؛ لقوله تعـالى: **﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَـهُ سُـلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُـــــــوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُـونَ﴾** [النحـل: 99]، وقوله تعـالى: **﴿إِنَّمَا النَّجْـوَى مِنَ الشَّـيْطَانِ لِيَحْـزُنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَيْسَ بِضَـارِّهِمْ شَـيْئًا إِلَّا بِـــــــإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** [المجادلة: 10].

4- محبة الله عز وجل: لقوله تعالى:

﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [آل عمران: 159].

5- الكفاية من كل وجـــــه؛ لقوله تعـالى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**﴾ [الأحــزاب: 3]. والوكيل هو الــذي يقـوم بـأمر موكلـه، وقوله تعـالى: ﴿ **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُـــــوَ حَسْـــــبُهُ** ﴾ [الطلاق: 3]. أي: كافيه.

6- حصــول الثبــات؛ لقوله تعــالى: ﴿**قُــلْ لَنْ يُصِــيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُـــــــــوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [التوبة: 51].

7- حصــول النصر والتمكين؛ لقوله تعــالى: ﴿**إِنْ يَنْصُــرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَــالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْـــــــــذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُــــــرُكُمْ مِنْ بَعْـــــدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُـــونَ**﴾ [آل عمـــــران: 160].

8- يـورث السـلامة من كل سـوء؛ لقوله تعــالى: ﴿**الَّذِينَ قَـالَ لَهُمُ النَّاسُ**

إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُـوا لَكُمْ فَاخْشَـوْهُمْ فَــزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَــالُوا حَسْــبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيــلُ * فَـانْقَلَبُوا بِنِعْمَـةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْـهُمْ سُـوءٌ [آل عمران: 173-174].

9- يجلب الـــــــــرزق من حيث لا يحتسب المرء؛ لحديث الطير: «**لو أنكم توكلون على الله حق توكله لــرزقكم كما يـــرزق الطـــير، تغـــدو خماصًـــا، وتروح بطانًا**» [رواه الترمذي وحسنه].

10- يورث الثقة باللــه، ولــذلك ذكر عن ابن عبــاس رضي الله عنهما أنه قــال: التوكل هو الثقة بالله تعالى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.